Derna University Journal of Humanities and Social Sciences, Vol. 4, Issue 7, March 2026.

مجلة جامعة درنة للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Derna University Journal of Humanities and Social Sciences (DUJHSS)
Source Homepage: https://dujhss.uod.edu.ly
P-ISSN: 2959-6475 | E-ISSN: 2959-6483 | Impact Factor: 0. 84
https://doi.org/10.58987/dujhss.v4i7.244

من مضامين دعوة الرسل

أحمد الناجي إمحمد حسين
مركز البحوث الإسلامية / البيضاء
ahmadalhtak48@gmail.com

ابريك مفتاح خليفة عثمان
قسم الشريعة الإسلامية، كلية القانون، جامعة بنغازي.

تاريخ الاستلام: 2025/09/06 ؛ تاريخ القبول: 2026/01/24 ؛ تاريخ النشر: 2026/03/02

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ما أرشد إليه الوحي من أسس وأساليب تضمنتها دعوة الرسل، وما فيها من بناء للأمة أفرادا وجماعات، ولما كان التقصير لدى كثير من المسلمين عامتهم وخاصتهم من دعاة وأساتذة ومؤسسات دعوية أو تربوية أو تعليمية في كثير من تلكم الأسس والأساليب، قصدتُ في هذا العمل للتعرض لبعضها، مقتفيا أثر الرسل وطريقتهم في دعوتهم لأقوامهم من خلال الوحي الكريم، وذلك إعلاما بأهميتها، وعملا بقوله تعالى آمرا نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}، وعقدتُ لذلك أربعة مطالب، جعلت الأول: في بيان إحقاقهم الحق دون التنازل عن شيء من مضمون دعوتهم وطرفٍ من أدلة اعتباره، والثاني: في بيان التزامهم الحد وعدم تجاوزه مع المدعوين، والثالث: في بيان رحمتهم للخلق، اتباعا كانوا أو مكذبين معاندين، والرابع: في بيان إخلاصهم وعدم أخذهم الأجر، وانتهيت من كل ما تقدم لخاتمةٍ أودعتُها جملةً من التوصيات، أهمها: أن يستظهر المختصون أسس الدعوة وأساليبها من القرآن الكريم، وذلك بتتبع طريقة الأنبياء في دعوتهم لتكون ظاهرة للدعاة فذلك أجدى لتصحيح دعوتهم. إضافة الى ذلك، يتعين على الدعاة أن يحيطوا علما بأسس الرسل الكرام وأساليبهم في دعوتهم لأقوامهم، لأن واجب الدعوة لا يتحقق إلا بتكلم الأسس والأساليب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ علاوة على ذلك، يتوجب على الدعاة الإحاطة بأحوال مدعويهم الاعتقادية والاجتماعية والنفسية وغيرها ليتسنى لهم استخدام ما يناسب كل فرد أو مجتمع من أسس وأساليب.

الكلمات المفتاحية:

إحقاق الحق، التزام الحد، رحمة الخلق، عدم طلب الأجر.

From the contents of the call of the messengers

Ahmed Alnajy
Islamic Research Center, Al-Bayda.

Abrik Othman
Department of Islamic Sharia, Faculty of Law
University of Benghazi

Received :06/09/2025 Accepted: 24/01/2026 Published: 02/03/2026

Abstract

This research aims to study the foundations and methods that the revelation has guided us to in the call of the Messengers, and what it contains in terms of building the nation, individuals and groups. Since many Muslims, both general and specific, from preachers, professors, and advocacy, educational, or teaching institutions, are negligent in many of these foundations and methods, I intended in this work to address some of them, following the footsteps of the Messengers and their method in their call to their people through the noble revelation, in order to inform them of its importance, and in accordance with the Almighty's saying, commanding His Prophet, may God bless him and his family and grant them peace: {Those are the ones whom God has guided, so follow their guidance}. For this, I made four demands, the first of which was to explain their establishment of the truth without compromising anything from the content of their call and some of the evidence for its consideration. The second was to explain their commitment to the limit and not exceeding it with those called. The third was to explain their mercy to creation, whether they were followers or stubborn deniers. Fourth: In explaining their sincerity and not taking a reward. I finished all the above with a conclusion in which I included a few recommendations.

Keywords

Enforcing justice; Adherence to the limit; Mercy on people; Not seeking reward.

© The Author(s) 2026. This article is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4).

المقـــدمـــة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونصلي ونسلم على عبده ورسوله، نبينا محمد خير من دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، احتسابا للثواب وأداءً للأمانة ونصحا للخلق، وعلى آله وأصحابه وأتباعه المقتدين به في النصح للخلق والدعوة إلى الله، فهم الذين قال الله فيهم: {قُلْ هَـــذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (يوسف:108).

وبعد، فإن الدعوة إلى الله أصل عظيم من أصول الإسلام وفرائضه، ذلك أن صلاح العباد في معاشهم متوقف على طاعة الله، وتحقيق الطاعة متوقف على العلم بالمأمورات والمنهيات، وطريق العلم بها هو الدعوة إلى الله تعالى، وما نالت هذه الأمة الخيرية على غيرها إلا لكونها أمة دعوة إلى كل ما يحبه الله ويرضاه، والنهي عن كل ما يبغضه ويسخطه، كما قال سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ } (آل عمران:110)، وإسهاماً في بيان طريق العلم ألا وهو الدعوة إلى الله سبحانه، رأيت أن أكتب في بعض أسس الأنبياء وأساليبهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا في دعوتهم لأقوامهم، واخترت أن يكون العنوان هو:(من مضامين دعوة الرسل).

ولبسط الكلام قليلا فيما احتواه جعلت له مقدمة، قسمتها إلى عدة محاور، تناولت فيها بيان إشكالية موضوع الدراسة، وجملة الأسباب التي حملت على اختياره، وأهميته وأهدافه، والسبيل الذي انتهجته في بحثه، فضلا عما يكون من دراسات سابقة بشأنه، علاوة على ذكر أهم ما اعتمدته من مراجعه، وشرح مجمل لخطته، على نحو ما يلي:

أولا: في بيان إشكالية الموضوع وأسباب اختياره.

من المعلوم أن الدعوة إلى الله هي أفضل الأعمال وأشرفها وأعظمها أجرا عند الله، فحاجة الناس وضرورتهم إليها ألح من الطعام والشراب، فلا يستقيم أمر الدنيا إلا بالدعوة إلى الله، ولولا ذلك لكان بنو آدم هملا كالبهائم، فالجنس البشري مفتقر للأمر والنهي، إذ لا يمكنه التمييز بين الحق والباطل أو بين الخير والشر استقلالا على التمام والكمال، وإن كان يمكنه التمييز إجمالا بالعود لعقله وحواسه، إلا أنه لا يهتدي تفصيلا لحقائق الأمور إلا من جهة الوحي، ولذلك احتاجوا لبعث الرسل ونزول الكتب وإيضاح الحجة (العنزي، صفحة 10) ، ولما كان واقع الدعاة في زماننا تساهلهم بشأنها، بين إفراط وتفريط، وغلو وتمييع، وإهمال ما لها من مضامين تحوي أسسا وأساليب، بها تتحقق الغاية، وتبرأ الذمة، مما أوجب إخلالا بمفاهيم

الدعوة القويمة، وأدى هذا بدوره إلى إعطاء صورة مشوهةٍ عن الدعوة، وأصبحت التهم تدور حول الدعاة، منها ما كان سببه الدعاة أنفسهم وتقصيرهم، ومنها ما هو راجع إلى المجتمع نفسه، ومن المعلوم من القرآن الكريم أن كراهة المصلحين داء متجذر في الأمم السابقة، فمن نصب لواء الدعوة حاربه الشيطان وحزبه، ومن ألوان حربه التشويه وإلصاق التهم، ودليله قوله تعالى على لسان نبي الله صالح عليه السلام لقومه: {وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} (الأعراف، الآية:79)، وقوله تعالى على لسان العبد الصالح لقمان: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (لقمان، الآية:17)، فأردت ببحثي هذا الوقوف على بعض مضامين دعوة الرسل– صلوات الله عليهم – وما تحويه من أسس وأساليب، وطريقة تعاملهم مع اقوامهم، عملا بقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه} (الأنعام، الآية:90)، فإذا كان هذا أمرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمته تابعة له في ما أمره الله به، فأردت الإسهام ولو بجهد المقل في تذكير الدعاة، وتوجيههم إلى مسلك الرسل في دعوتهم، ليجتنبوا فيه ما يكون سببا لتنفير الناس وصدهم عن سبيل الله، أيا كان إفراطا أو تفريطا، أوغلوا أو تمييعا وغيرها، وتجنب مواضع التهم والشبهات، منها على سبيل المثال لا الحصر أخذ المقابل، وطلب المناصب والتنازلات لأجلها، خلافا لمنهج الرسل الذين كانوا على قول واحد مع اختلاف عباراتهم: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّه}، وكذلك مدح أتباعهم لهم بذلك كما أخبر الله بذلك على لسان مؤمن آل ياسين: { قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ*اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (يس، الآية: 20–21)، وقد بدا ظاهرا من خلال ما ذكرت إشكالية الموضوع وطبيعته، وكذا أسباب اختياره، وظني أن كلا الأمرين ملازم للآخر، وإذ وقفنا على أسباب اختيار الموضوع بدت إشكاليته ظاهرة جلية.

ثانيا: في بيان أهميته وأهدافه.

تبرز أهمية هذا البحث في تعلقه بموضوع الدعوة التي هي وسيلة لتحقيق أسمى غاية، وهي تحقيق العبودية لله، التي بها النجاة من النار، والفوز بالجنة، وبها يصلح حال الناس في دنياهم وآخرتهم، فموضوع الدعوة بلا منازع ليس له في أهميته سابق، ولا دنى من منزلته موضوع لاحق لذلك جعل الله العمل فيها أفضل الأعمال، والقول فيها أفضل الأقوال.

أما من حيث أهدافه فتبدو إن وفق الله للصواب في تصحيح مفاهيم الدعوة وطرائقها، مما يعود بتحقيق مقصدها في تبليغ شريعة الله على وجهها الصحيح، وذلك بالتنبيه على ربط الدعوة بمنهج الرسل وطريقتهم في إصلاح الفرد والمجتمع، وكذلك التذكير ببعض أسس وأساليب أرى أن ساحة الدعوة نابها شيء من الخلل فيها، وأول هذه هو: إحقاق الحق، وثانيهما: التزام الحد، وذلك في قوله تعالى لنبيه الكريم عندما كان يدعو على صفوان بن أمية وآخرين: {ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون} (آل عمران، الآية:128) (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 4070)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الأساليب فأولها: رحمة الخلق، وهو عرض أسس الدعوة في قالب اللين ورحمة الخلق، وما يثمره ذلك من انشراح صدور الناس للدعوة، وقبولهم إياها، فإن الفطر جبلت على قبول الحق إذا طرح عليها في ثوب اللين والرحمة والحكمة، كما قال الله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} (آل عمران:159)، وثانيهما: عدم طلب الأجر، والابتعاد عن طلب النفع تأسيا بالرسل، فإنه أدعى للإخلاص، وأبعد عن التهمة كما في قوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ }.

ومن جهة أخرى لا يخفى على أهل الاختصاص خاصة، وأهل الغيرة على الإسلام وحب الخير للناس عامة، ما يتعلق بحق الإسلام، وحق المسلمين بعضهم على بعض، وما فرضه الله على عباده من وجوب البلاغ عنه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وربطهم بمنهج القرآن الذي هو سبب قوة هذه الأمة ورفعتها وشرفها، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} (الزخرف، الآية:44)، وقوله تعالى: { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء، الآية:10)

ثالثا: في بيان منهجه.

وجملته الاستقراء والتحليل، وذلك بتتبع أقوال أهل الفن من العلماء السابقين واستقرائها وتحليلها ما أمكن مع استخلاص النتائج ما استطعت لذلك سبيلا.

رابعا: في ذكر أهم مصادره ومراجعه.

وهي تفسير ابن عاشور، وصحيحا البخاري ومسلم، والبصيرة في الدعوة إلى الله للعنزي، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان.

خامسا: في ذكر دراسات سابقة.

من الدراسات السابقة: الإسلام دعوة كل الرسل للدكتور: أحمد عمر هاشم، وكان موضوع الدراسة يدور حول وحدة دعوتهم، وحاجة البشرية إليهم، ووجوب الإيمان بهم، وتواصل موكبهم، دون التطرق لما ذكر في هذا البحث.

ومنها أيضا: دراسة لأحمد الزاملي، وهيله علي محمد الأحمري بعنوان: وسائل دعوة الرسل، دراسة تحليلية للوسائل التي استخدمها إبراهيم عليه السلام – مثل الحكمة والموعظة الحسنة، وإقامة الحجة والصبر على الأذى من خلال استكشاف دورها الفعال في تحقيق أهداف الدعوة، وما ذكر في هذا البحث لم يذكر في الدراسة السابقة.

سابعا: في بيان هيكلية دراسته.

لقد تضمنت دعوة الرسل – صلوات الله عليهم – أسس وأساليب قد بينها الوحي الكريم في مواضع كثيرة، وكان بيانه لها على أيدي الرسل بلسان الحال لا بلسان المقال، ومن المعلوم أن الحال أبلغ من المقال في نفوس المدعوين، مثالا على ذلك قول نبي الله شعيب: { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود، الآية:88)، ومن هذه الأسس إحقاق الحق والتزام الحد، ومن هذه الأساليب رحمة الخلق وهو يخاطب الفطرة، وعدم طلب الأجر وهو يخاطب العقل.

ووفاء بذلك قسمت العمل إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول

إحقاق الحق

{ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }

(المائدة، الآية:67)

بما أن اللغة حمالة وجوه، فلا ينبغي أن يفهم من العنوان أن إحقاق الحق هو الشدة، وترك أسس الأنبياء ووسائلهم في دعوتهم، وما تضمنته من الرفق واللين والحكمة، فالقرآن الكريم يحكي لنا عزيمة الأنبياء

وقوتهم في دعوتهم، وذلك في أمرين **أولهما:** في التوكل على الله، وبما أن الخطاب بالتوكل على الله تعالى في القرآن الكريم تعدد من وإلى، فتارة تجده من الله سبحانه لأنبيائه، كقوله تعالى: { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (آل عمران:159)، والآيات في ذلك كثيرة، وتارة يكون بإخبار الأنبياء عن أنفسهم، كقوله تعالى: { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود:88)، والآيات في ذلك كثيرة أيضا، وتارة يكون من الأنبياء لأتباعهم، منها قول الله تعالى: { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } (يونس:84)، وقول نبي الله يعقوب في سورة يوسف عليهما السلام: { وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} (يوسف:67)، وكذلك في سورة إبراهيم ما أخبار به الرسل أن التوكل على الله من أوصاف المؤمنين، قال سبحانه: { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (إبراهيم:11)، وكذلك قول الرسل أنهم يقابلون أذى أعداء الله بالصبر والتوكل على الله، قال تعالى: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} (إبراهيم:12).

فكل ما سبق من أدلة في التوكل على الله دل على أهميته في الدعوة إلى الله، ووجوب تحلي الدعاة به، فنجاح الداعية منوط باستعانته بربه على تنفيذ أوامره، وتوكله عليه، ولا يعتمد على الأسباب مهما قويت، وهل أقوى من معجزاتٍ أيَّد الله تعالى بها رسله، ومع ذلك فإن مقام شهود هذه الأسباب للداعية هو عين مقام شهود فقره إلى الله، وهذا أقوى داعٍ للتوكل على الله، فلا ركون لغير الله مهما كان قوياً.

والتوكل بهذه الصفة يستحيل ضربا من التحدي المعجز بحد ذاته في مجابهة الرسلِ أقوامَهم ، سيما وقومهم في الغالب هم أهل القهر والغلبة، فتوكلهم على الله في دفع كيدهم ومكرهم برهان للرسل يشهد لصدقهم. (وسيم، صفحة 54)

فالتوكل على الله عبادة قلبية لا يحصل تحقيق كمال التوحيد إلا بها، وهو ركون الضعيف العاجز عن دفع الضر أو جلب النفع، الذي لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة إلى ربه في إقامة دينه الذي أمر به، والثقة به في حصول ذلك الأمر على أي حال كان.

ثانيهما: تبليغهم ما جاءوا به دون تنازل أو مداهنة عن شيء من أمور الدين، في قالبه الذي أراده الله منهم من الحكمة والرفق واللين، إلا أن يكون إثما أو تركا لواجب كانوا أبعد الناس منه فعن عائشة رضي

الله عنها قالت: « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 3296)، ولقد حكى القرآن الكريم توكل الأنبياء على ربهم، وقوتهم في إحقاق الحق، في صور المختلفة، منها ما جاء في سورة الأنبياء عن قوة إبراهيم ــ عليه السلام ــ وعزيمته في الحق عندما رأى العناد والاستكبار من قومه، عمد إلى تكسير الأصنام، مما اضطرهم إلى محاولة تحريقه، والكيد به، قال سبحانه تعالى: { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ} (الأنبياء: 57ــ 58)، فما كان من سفه عقول المشركين إلا أن قالوا: {مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنبياء، الآية: 59)، فبعدما أقروا بظلمهم وضعف آلهتهم، قال لهم نبي الله إبراهيم: {أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (الأنبياء: 66 ــ67)، وكذلك نبي الله موسى ومن معه ــ عليه السلام ــ عندما هددهم فرعون، فلم يثنه ذلك التهديد عن دعوته للحق، كما في قوله تعالى: {لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأعراف:124)، فرد عليه موسى ــ عليه السلام ــ بعزيمة وقوته في الحق، وذلك في قوله تعالى: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الآية: 128) وكذلك ما قاله نبي الله شعيب ــ عليه السلام ــ عندما قال له قومه: {يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} (هود:91)، فقال تعالى مخبرا عن عزيمته واعتزازه بالله، وقوته في الحق: {يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ} (هود:92 – 93)

وأما في السنة ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم في شأن امرأة سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها، تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « أتكلمني في حد من حدود الله »، قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: « أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ثم أمر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت، قالت عائشة: فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 3475)، وأيضا ما رواه جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب, فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم قال: فغضب وقال: " أمتهوّكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده, لقد جئتكم بها بيضاء نقية, لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبونه, أو بباطل فتصدقونه, والذي نفسي بيده, لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعن " (أحمد، المسند حديث رقم 14623)، فالمعنيون بهذا الموضوع خاصة هم الدعاة والمصلحون، بأن يتوكلوا على الله في دعوتهم، ويبلغوا ما عندهم من الحق صابرين محتسبين، كما حدث لنبينا صلى الله عليه وسلم فقد اضطهد في مكة، ثم أكرمه الله بالنصر في المدينة أولا، ثم في مكة ثانيا، وموسى عليه السلام اضطهد في أرض فرعون وانتصر بعدُ في موضع آخر، فالداعية قد يضطهد في زمان، وينتصر في زمان آخر، كما حدث لشيخ الإسلام ابن تيمية، فمات في سجنه ولكن دعوته انتصرت انتصارا عظيما بعد وفاته بقرون مازالت.

وإتماما للفائدة إن تلون الخطاب في التوكل على الله يدل دلالة واضحة على جمال أسلوب القرآن وهو مظهر من مظاهر الإعجاز البلاغي الذي ليس لأحد مجارته فيه، فالقرآن جري بنسق بديع خرج فيه عن المألوف من نظام كلام العرب، فلا تنطبق عليه قوافي شعرهم، ولا هو على عوائد المسجوع من منثور كلامهم، فالتعبير القرآني جاء في أجمل لفظ لأبهى تعبير، ويظل محتفظا بمستواه الرفيع من جماله اللفظي، ورقة صياغته، وروعة تعبيره رغم تنوع أبحاثه، واختلاف موضوعاته، وهذا مما يخرج عن طاقة البشر، فتصريف بعض المعاني في القرآن الكريم، وتكرارها بقوالب مختلفة من أساليب البيان والتعبير يضفي عليها الجدة، فتظهر كما لو كانت معنى جديدا، فألفاظ القرآن وعباراته مصوغة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة، بحيث تصلح أن تكون خطابا لمختلف المستويات من الناس، وبحيث يأخذ كل قارئ منها ما يقدر على فهمه واستيعابه، ويراها مقدرة على مقياس عقله ووفق حاجته. (البغا، صفحة 165).

فما نراه اليوم من التنازلات من بعض الدعاة في بعض أمور الدين، مما لا مجال للخلاف فيها، وليس فيها إلا القول الواحد، ولم يضطرهم إليها إكراه، أو مفسدة كبيرة، فما هو إلا إخلال بطريقة الأنبياء في إحقاق الحق، وذلك إما بتأويل فاسد، أو إثار حب الدنيا والمناصب على دعوة الإسلام، والله الهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الثاني

التزام الحد

{ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } (الرعد: 40)

أن للداعية حدودا بينها الوحي الكريم، منها أن الداعية متعبد بتقديم هداية الإرشاد والدلالة فحسب، ولا شأن له باتباع الخلق لدعوته من عدمه، فتلك هداية التوفيق، والتي أشار إليها ربنا عز وجل في مثل قوله: {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الأنعام: 39)، فإذا تجاوز الحد بمحاسبة الخلق خرج عن مقتضى وظيفته الدعوية، وربما نتج عنه فساد أو سوء عاقبة، ومن شواهد هذا المعنى ما يلي:

– قوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَالْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} (الأنعام:66)، قيل في معنى الآية: قل لست عليكم بوكيل إرغام لهم لأنهم يرونه أنهم لما كذبوه وأعرضوا عن دعوته قد أغاظوه، فأعلمهم الله أنه لا يغيظه ذلك وأن عليه الدعوة فإذا كانوا يغيظون فلا يغيظون إلا أنفسهم، والوكيل هنا بمعنى المدافع الناصر، وهو الحفيظ.. وتعديته بـــ (على) لتضمنه معنى الغلبة والسلطة، أي لست بقيم عليكم يمنعكم من التكذيب كقوله تعالى: فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ " (عاشور، 1984، صفحة 7/ 287).

– وقوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} (الغاشية:21–22) قيل في معنى الآية: (القصر المستفاد بـــ إنما قصر إضافي، أي أنت مذكر لست وكيلا على تحصيل تذكرهم،... والمصيطر: المجبر المُكره... لأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أنه لم يكلف بإكراههم على الإيمان) (عاشور، 1984، صفحة 7/ 306 ، 307)، والآيات في هذا المعنى كثيرة، والظاهر من الآيتين أن الداعي إلى الله لم يكلف فوق تقديم الهداية الشرعية، وقد جاء في عجز الآية عنوان المطلب أن محاسبة الخلق إلي الخالق وحده، ولقد جاء في السنة أيضا ما يدل على ما سبق، كما سيأتي:

– عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَيَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُهُمَا فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْخُلُقِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيَرَى أَنَّهُ مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَذُكِرَ عِنْدَ صَاحِبِهِ، فَقَالَ: لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ اللَّه: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي وَإِنِّي قَدْ أَوْجَبْتُ لِهَذَا الرَّحْمَةَ وَلِهَذَا الْعَذَابَ » قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ــ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ــ: « فَلَا تَتَأَلَّوْا عَلَى اللَّه » (الطبراني، مسند الشاميين، حديث رقم 281)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه على

التزام الحد مع العصاة والمذنبين والشفقة عليهم، عن شُعْبة قال: سمعت يحيى ابن المجُبَّر قال سمعت أبا ماجد، يعني الحنفي، قال: كنت قاعداً مع عبد الله، قال إني لأذكر أوّلَ رجل قَطَعه، أُتي بسارق فأمر بقطعه، وكأنما أُسفَّ وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم ــ قال: قالوا: يا رسول الله، كأنك كرهتَ قَطْعَه ؟، قَال: « وما يمنعني ؟، لا تكونوا عوناً للشيطان علي أخيكم، إنه ينبغي للإمام إذا انتَهَى إليه حدٌّ أن يقيمه، إن الله عز وجل عفُوٌّ يحبُّ العفو { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ } (النور: 22) " (أحمد، المسند حديث رقم 42169).

وعن " عبد الله بن بُريدة، عن أبيه، أن امرأةً – يعني مِن غامدٍ – أتتِ النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلم – فقالت: إني قد فجرتُ، فقال: « ارجِعي »، فرجعت، فلما كانَ الغَدُ، أتته، فقالت: لعلكَ أن تُرَدِّدَني كما رَدَّدْتَ ماعِزَ بنَ مالكٍ، فوالله إني لحُبلى، فقال لها: « ارجِعي » فرجعت فلما كان الغد، أتته فقال لها: « ارجِعي حتَّى تَلِدي »، فرجعت، فلما ولدت، أتته بالصبى، فقالت: هذا قد ولدته، فقال لها: « ارجعي فأرضِعيه حتى تفطِميه »، فجاءت به وقد فَطَمَتْهُ وفي يده شيءٌ يأكلُه، فأمر بالصبيِّ، فدُفِعَ إلى رجل من المسلمين، وأمر بها فَحُفِر لها، وأمر بها فرُجِمَت وكان خالد فيمن يرجمها، فرجمها بحجر، فوقعت قَطرةٌ من دمِها على وجنَتِه، فسبَّها، فقال له النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلم –: « مهلاً يا خالد، فوالذي نفسي بيده، لقد تابت توبةً لو تابها صاحِبُ مَكسٍ لغُفِرَ له » وأمرَ بها فصُلِّي عليها، ودُفِنَت " (داود، سنن أبي داود حديث رقم 488).

والحاصل مما تقدم أن الواجب على العلماء والدعاة هو: تقفي أثر الرسل الكرام– صلوات الله عليهم– وطريقتهم في دعوتهم، ومنها تحقيق كونهم دعاة لا قضاة، وأنهم مُبلِّغون لا مُحَاسِبون.

المطلب الثالث

رحمة الخلق

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُم }

(آل عمران، الآية: 159)

لقد جاءت نصوص الوحي الكريم بما يدل على رحمة الرسل– صلوات الله عليهم – بعباد الله، حتى طالت المعاندين والمعرضين عن الحق، فعند ذكر الرسل لأعدائهم، وما هم عليه من الكفر يرجعون الأمر إلى الله ويذكرون رحمته، ومن الأدلة على ذلك: قوله تعالى على لسان إبراهيم– عليه السلام –: {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ

مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (إبراهيم:36)، فقوله ومن عصاني فإنك غفور رحيم (تأدب في مقام الدعاء ونفع للعصاة من الناس بقدر ما يستطيع، والمعنى ومن عصاني أفوض أمره إلى رحمتك وغفرانك، وليس المقصود الدعاء بالمغفرة لمن عصى، وهذا من غلبة الحلم على إبراهيم عليه السلام) (عاشور، 1984، صفحة 7/ 440)، وأيضا قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم– عليه السلام–: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (المائدة:118).

ومن أدلته أيضا، ما روي عن عائشة ــ رضي الله عنها – قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: « لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا » (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 2992)، وعن عبد الله قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: « رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » (مسلم، صحيح مسلم حديث رقم 3347) ، فلا شك أن هذه الرحمة أدعى للإخلاص لله وترك حظ النفس وصدق الشفقة على الأخرين، لذا لما روى ابن حبان حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي يرويه عن سهل بن سعد الساعديِّ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ »، بوب له بابا بعنوان: (ذكر ما يجب على المرء الدعاء على أَعدائِهِ بما فيه ترك حظ نفسه) (حبان، سنن ابن حبان 4/ 438) ، وما تقدم ذكره من أدلة كان في الرحمة بعموم الخلق.

كما جاءت النصوص أيضا في رحمة الرسل بأتباعهم ولو كانوا عصاة، بل والدعاء لهم، وهذا الأمر ذو أهمية لما نراه أو نسمعه من بعض الصالحين والمصلحين من تنقص وازدراء لأهل الذنوب والتقصير، منها ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: {رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني} (إبراهيم،الآية:36)، وفي عيسى عليه السلام: { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } (المائدة:118)، فرفع يديه وقال:

« اللهم أمتي أمتي »، وبكى، فقال الله عز وجل: « يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ » فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال، وهو أعلم، فقال الله: « يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءُك » (مسلم، صحيح مسلم حديث رقم 202)، ايضا ما روى عمران بن حصين من أن امرأة من جهينة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا نبي الله أصبت حدا فأقمه علي، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها، فقال: « أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها »، ففعل، فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت ؟ فقال: « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟ » (مسلم، صحيح مسلم حديث رقم 1696)، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها) أمر بالإحسان إليها لخوفه صلى الله عليه وسلم عليها من أن غيرة أقاربها وخوف لحوق العار بهم يدفعهم للتعدي عليها بالقتل أو الضرب أو الكلام المؤذي ونحو ذلك، فنهى عن ذلك كله (علان، صفحة 1/ 141)، ومنها أيضا ما روى أبو قتادة الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « ألا أحدثكم عن رجلين من بني إسرائيل، أما أحدهما فيرى أنه أفضلهما في الدين والعلم والخلق، وأما الآخر فيرى أنه مسرف على نفسه، فذكر عند صاحبه، فقال: لن يغفر الله له، فقال الله جل شأنه: « ألم تعلم أني أرحم الراحمين، ألم تعلم رحمتي سبقت غضبي, وإني قد أوجبت لهذا الرحمة ولهذا العذاب»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فلا تتألوا على الله» (الطبراني، مسند الشاميين، صفحة 1/ 168).

المطلب الرابع

إخلاص النية وعدم طلب الأجر

{ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله } (سبأ: 48)

هو من أساليب الدعوة الذي يُعدُ إهماله وبال عليه الداعية نفسه فضلا عن المدعو، فإن من أوجب الواجبات على من تعلم الكتاب، ودعا الناس إلى توحيد رب الأرباب، أن يكون الدافع لعمله هو الإخلاص لله الواحد الوهاب، فمن أعظم النقيصة والتناقض دعوة الناس إلى توحيد الله بقلب يشارك في نيته مع الله غيره عياذا بالله، فهذا والله عين الخسران وسوء المآب، ودعوته عليه وبال وخراب، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا

مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} (الفرقان:23)، وقال تعالى: { وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} (الزمر:47).

ومن أدلته التي أشار إليها القرآن تلميحا لا تصريحا ما جاء في سورة إبراهيم–عليه السلام– قوله تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (إبراهيم:1)، فكيف برجل تعلم الكتاب ليحقق معانيه في نفسه أولا ثم في غيره بقصد إخراجهم من ظلمات الشرك والجهل، ثم يناقض ذلك ويشرك مع الله شيئا أخر في قلبه الذي مدار قبول الأعمال عليه، ومن الأدلة أيضا قوله سبحانه: { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (الكهف:110)، وقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة:5)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 1).

أقول وبالله التوفيق: إن فساد النية محبط للعمل مفسد له في جميع أحواله سواء أكان العمل صوابا موافقا للشريعة أم لم يكن، قال سبحانه وتعالى: { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} (الفرقان:23)، خلافا للعمل نفسه فالأمر فيه واسع ولله الفضل، فإن وافق الصواب وكانت نية صاحبه خالصة فله أجران، وإن لم يوافق الصواب بعد الاجتهاد في طلب الصواب فله أجر واحد، فالدليل على المعنى الأول: عن عقبة بن مسلم أن شفيا الأصبحي، حدثه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أسألك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكثنا قليلا ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم أفاق فمسح وجهه فقال: أفعل، لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه فأسندته علي طويلا، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل

جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء, فقد قيل ذاك »، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: « يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة »، (وقال الوليد أبو عثمان: أخبرني عقبة بن مسلم أن شفيا، هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا، قال أبو عثمان: وحدثني العلاء بن أبي حكيم، أنه كان سيافا لمعاوية فدخل عليه رجل، فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية رضي الله عنه ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}) (الترمذي، حديث رقم 2304).

والدليل على المعنى الثاني: قوله سبحانه: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } (البقرة:286) وحديث عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » (البخاري، صحيح البخاري حديث رقم 7352).

وبناء على ما سبق يجب على الداعية أن يجعل أولى أعماله أن يكون مخلصاً لله في دعوته، لا يبتغي من أحد جزاء ماديا ولا شكرا معنويا، بل همه الأوحد أن يتقبل الله منه، وليحذر طلب رؤية الناس والشهرة بينهم أو طلب محمدتهم على فضله في دينه أو علمه أو عمله أو عقله، فهذا كله مبطل لعمله مفسد لسعيه (الرحيلي، 2003، صفحة 153)، وينبغي أن ينأى بنفسه عن مواضع التهم في دينه أو دنياه، وهذا الأمر غاية في الأهمية، ولذلك لما اعتقد المكذبون للرسل أن الأنبياء عليهم السلام ما خالفوا ما هم عليه إلا لطمع دنيوي، عرضوا عليهم شيئا من أمور الدنيا، فكان رد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حاسما وواضحا، بأنهم

لم يدعوا لأجل شيء من هذا، وإنما دعوتهم خالصة لله تعالى، ويحتسبون الأجر على الله وحده، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:109)، وقال سبحانه وتعالى على لسان هود عليه السلام: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: 127)، وقال سبحانه وتعالى على لسان صالح عليه السلام: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:145)، وقال تعالى على لسان لوط: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:164)، وقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: {وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:180) والآيات في هذا المعنى كثيرة.

(ويؤخذ من هذه الآيات الكريمة: أن الواجب على أتباع الرسل من العلماء وغيرهم أن يبذلوا ما عندهم من العلم مجانا من غير أخذ عوض على ذلك، وأنه لا ينبغي أخذ الأجرة على تعليم كتاب الله تعالى، ولا على تعليم العقائد والحلال والحرام)، بل هي منقبة عظيمة داعية إلى قبول الدعوة عند أصحاب العقول النيرة والفهم الصحيح فالداعي إلى شيء لا يريد عليه جزاء ولا شكورا هو أقرب إلى شيئين هما مفتاح القلوب صدق دعوته وإخلاصه فيها وقد جاء في القرآن أن مؤمن آل ياسين قال: { يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ }) (الشنقيطي، 1995، صفحة 2/ 179).

التوصيـــــات

وأما التوصيات فكان من أبرزها الآتي:

1- أن يستظهر المختصون أسس الدعوة وأساليبها من القرآن الكريم، وذلك بتتبع طريقة الأنبياء في دعوتهم لتكون ظاهرة للدعاة فذلك أجدى لتصحيح دعوتهم.

2- يجب على الدعاة أن يحيطوا علما بأسس وأساليب الرسل الكرام في دعوتهم لأقوامهم، لأن واجب الدعوة لا يتحقق الا بتكلم الأسس والأساليب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

3- كما يجب على الدعاة الإحاطة بأحوال المدعوين، الاعتقادية والاجتماعية والنفسية وغيرها ليتسنى لهم استخدام ما يناسب كل فرد أو مجتمع من أسس وأساليب.

4- تأسيس هيئة رسمية تابعة للدولة من ذوي الكفاءة والخبرة تقوم على تقييم الدعاة، وبناء الفقه الدعوي، وإقامة الدورات والمحاضرات للرفع من كفاءتهم.

5- توسيع نشاط الدعوة، وذلك بتوظيف باقي المؤسسات العلمية في النشاط الدعوي، وذلك بوضع المناهج المحققة لذلك، وأن يكون الخطاب الدعوي والتربوي مناسبا لكل مرحلة تعليمية.

6- ضرورة دعم الدولة للعمل الدعوي وتشجيعه، وذلك بتوفير الاحتياجات المادية والمكانية ووسائل النقل وغيرها، وتمكينهم من إيصال عملهم للفرد والمجتمع عن طريق القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى.

7- استقراء التجارب الدعوية باختلاف أزمنتها وأمكنتها ومجتمعاتها والاستفادة منها.

المراجع

1- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، صحيح ابن حبان، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

2- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، 1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس.

3- ابن علان، محمد علي بن محمد البكري، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، الطبعة: الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

4- أبو الحسن، مسلم بن حجاج القشيري، المسند الصحيح المختصر(صحيح مسلم)، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.

5- أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة.

6- أبو داود، سليمان بن الأشعث، 2009، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية.

7- أبو عبدالله، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة: الأولى، دار الحديث، القاهرة.

8- أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، 1422ه، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة: الأولى، دار طوق النجاة.

9- أبو عيسى، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

10- البغا، مصطفى ديب البغا، 1998، الواضح في علوم القرآن، الطبعة: الثانية، دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية، دمشق.

11- الرحيلي، د. حمود بن أحمد، 2003، المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، الطبعة: العدد 119، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

12- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، 1995، أضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

13- الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، 1405-1984، مسند الشاميين، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

14- العنزي، عزيز بن فرحان، 2005، البصيرة في الدعوة إلى الله، تقديم: الشيخ صالح عبدالعزيز آل الشيخ، الطبعة: الأولى، دار الإمام مالك، أبو ظبي.

15- وسيم، وسيم فتح الله، أساليب التربية والدعوة والتوجيه من خلال سورة إبراهيم.